الإهـداء

إلى روح شقيقتيَّ المرحومتين (سَحَر و جرا) اللتين كانتا متلهّفتين لرؤية هذا البحث، ولكن يبدو أن قلبيهما كانا أشدّ تعلُّقاً بالله تعالى وأشدَّ حبّاً للقائه، فأحبَّ الله تعالى لقاءهما ورفعهما إليه ...

أسأل الله تعالى أن تكونا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ...

obeikan.com

obeikan.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد؛

فتعدّ موضوعات الفكر السياسي الإسلامي من أكثر الموضوعات حيوية ونشاطاً وتداولاً بين المفكرين المعاصرين، وذلك نظراً لتنامي الصحوة الإسلامية بشكل كبير، بحيث أصبحت ذات تأثير لا يمكن إهماله على المجتمعات، وقد برزت عدد من التجارب والأحزاب الإسلامية التي تسعى، كباقي الأحزاب السياسية، للوصول إلى السلطة، بل قد وصلت بالفعل إلى السلطة في بعض البلدان.

وعليه فقد كثر الحديث عن ماهية النظام السياسي الإسلامي، وموقفه من عدد من القضايا السياسية المعاصرة التي تعد ركائز تقوم عليها الدولة المعاصرة في العالم، مثل قضايا الديمقراطية، والتعددية السياسية، وتداول السلطة، وحقوق الإنسان، والحقوق السياسية للمرأة، والموقف من الرأي المخالف، وغير ذلك.

ومن هذه الموضوعات المهمة موضوع التحالفات السياسية سواء أكان التحالف بين الأحزاب الإسلامية بعضها مع بعض، أم بين الأحزاب الإسلامية وغيرها من الأحزاب العلمانية أو القومية أو المخالفة حتى في العقيدة والدين، وكذلك الحال بالنسبة للتحالفات والمعاهدات على صعيد الدول والمنظمات الدولية من قبيل التحالفات بين الدول الإسلامية وغيرها من الدول، أو انضمام الدول الإسلامية إلى المنظمات الدولية أو المعاهدات والأحلاف الدولية السياسية والعسكرية، وغير ذلك.

فما هي نظرة الشريعة الإسلامية إلى هذه الموضوعات؟ وما هو موقع الأحزاب والتكتلات والرأي الآخر في ظل النظام السياسي الإسلامي أو في ظل

الدولة الإسلامية؟ هذا ما تحاول هذه الرسالة أن تعالجه وتجيب عنه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

هناك نقاط عدة تكمن فيها أهمية موضوع التحالفات السياسية، كانت سبباً وراء اختيار الباحث لهذا الموضوع، ولعل من أبرزها:

- يعد هذا الموضوع -كما سلف- من الموضوعات الساخنة على الساحة الفكرية التي تحتاج لبحث مستفيض.
- تنامي الصحوة الإسلامية، وتزايد قوة الأحزاب والجماعات الإسلامية يثير كثيراً من التساؤلات حول مشروع هذه الجماعات، وموقفها من كثير من القضايا الهامة التي من بينها التحالفات السياسية، ممّا يعطي أهمية أخرى للبحث في هذا الموضوع.
- وجود عدد من المعاهدات والاتفاقيات التي تأخذ طابعاً دوليّاً، وتكون أحياناً تحت مظلة الشرعية الدولية المتمثلة في الأمم المتحدة، ويُطلب من دول العالم الإسلامي -كغيرها من الدول- الانضمام إليها، مثل: معاهدات حقوق الإنسان، ومعاهدات منع التسلح، وغيرها، وكذلك وجود عدد من التحالفات الدولية السياسية والعسكرية، إضافة إلى وجود بعض الهيئات والمنظمات الدولية التي هي أشبه بتحالف دولي، مثل: منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة التجارة العالمية، وغيرها، والدول الإسلامية تحتاج إلى معرفة الرؤية الشرعية لمثل هذه المعاهدات والتحالفات، وضوابط الانضمام إليها والتوقيع عليها.
- رغبة الباحث وميله إلى البحث في قضايا الفكر الإسلامي المعاصر وتحدياته، ومواصلة لما بدأه في رسالة الماجستير التي كتبها عن موضوع

فكري مثير للجدل، وهو حقوق المرأة بين المساواة والعدالة.

مشكلة البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما هو الأصل في العلاقة في المجتمع الإسلامي والعالم بين المسلمين والمخالفين مخالفة فكرية أو عقائدية أو دينية؟ هل الأصل هو الحرب، أم التعايش والتعاون على المشتركات والتحالف؟
- هل هناك صيغة واحدة وحكم ثابت في قضايا الفكر السياسي الإسلامي، أم تدخل تلك الموضوعات في مجال السياسية الشرعية، يمكن الاجتهاد فيها على ضوء النصوص الشرعية؟

وعليه؛ فإن المشكلة الأساسية لهذه الدراسة تدور حول تساؤلات تتعلق بكيفية إقامة العلاقات والتحالفات مع المخالفين، والموقف منهم.

لقد كان انتقال الحكم الإسلامي من الخلافة الراشدة إلى الحكم الوراثي أول ضربة وجّهت للنظام السياسي الإسلامي، ولم تشهد أحكام نظام الحكم تطوراً موازياً لتطور الفقه الإسلامي، فلم تعد الأحكام السياسية، أو الفقه السياسي واضحاً ومعلوماً للجميع، كما هو الحال بالنسبة للموضوعات الفقهية الأخرى من العبادات والمعاملات.

بقي الأمر على ذلك حتى تلاشى النظام السياسي الإسلامي بالكامل بسقوط الخلافة الإسلامية، ثم ظهرت بعد ذلك حركات وأحزاب إسلامية تطالب بنظام الحكم الإسلامي للدولة، وأخذت هذه الحركات والأحزاب تبرز وتنتشر وتقوى حتى أصبحت اليوم قوى رئيسة في المجتمعات الإسلامية، وبقدر هذا الانتشار والتوسع لهذه الحركات والأحزاب، توسّعت مخاوف التكتلات والأحزاب

السياسية الأخرى المخالفة للأحزاب الإسلامية سواء أكانت أحزاباً علمانية، أو شيوعية، أو حركات قومية، أو أقليات دينية، أو حتى قوى دولية، ووُجِّهت -نتيجة لهذه المخاوف- تساؤلات عدة إلى الحركات والأحزاب الإسلامية حول ماهية المشروع السياسي الذي تحمله هذه الأحزاب، ولا سيّما فيما يتعلق بالنظرة إلى الآخر، وكيفية التعامل معه، وذلك -ربما- ليطمئنوا على موقعهم في ظل الدولة الإسلامية.

ومن هذا المنطلق يمكن عدّ هذه التساؤلات مشروعة، وعلى الحركات والأحزاب الإسلامية أن تكون واضحة وجريئة، وتتصدى لهذه التحديات، وتبيّن موقفها منها بوضوح وجلاء، ولكن يبدو أن هذا لم يتم بعد؛ بسبب تباين مواقف الأحزاب والحركات الإسلامية.

وعليه؛ وبسبب تراجع النموذج السياسي الإسلامي السليم الذي يمكن القياس عليه بعد الخلافة الإسلامية الراشدة، وغيابه بصورة نهائية بعد سقوط الخلافة، وكذلك بسبب تشنج عدد من الأحزاب والحركات الإسلامية، وموقفها السلبي من قضايا قبول الآخر، وآرائها المتشددة من موضوع الحريات العامة والسياسية، كل ذلك جعل التساؤلات تبرز حول هذا الموضوع بشكل كبير، وشكّلت تحدياً أمام الأحزاب والحركات الإسلامية.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة للخوض في غمار هذه الإشكالية، وبحث جوانب هذه القضية، للخروج برؤية وموقف صريح وواضح المعالم.

فرضيات البحث :

- قضايا الفكر السياسي الإسلامي يحكمها فقه السياسة الشرعية أكثر من النصوص الشرعية؛ أي: إنها تُحكم بفقه الموازنات.
- شرعية التحالفات السياسية لا تعتمد على الطرف الذي يبرم معه الحلف بقدر اعتماده على الموضوع المتحالف عليه.

- عدد من صور التحالفات السياسية القائمة في العالم اليوم يوجد في التراث الإسلامي مثيل لها، ولا سيّما في العصر الإسلامي الأول.

الدراسات السابقة:

على الرغم من أن موضوع التحالفات السياسية يندرج ضمن التحديات التي تواجه الحركات والأحزاب الإسلامية، إلا أن تعاطي المفكرين والباحثين الإسلاميين لهذا الموضوع ليس متناسباً مع حجم الموضوع وأهميته وضرورته، ولكن ذلك لا ينفي وجود جهود قيمة بُذلت في هذا الميدان، ولكن لم تتناول أيّ دراسة موضوع التحالفات بالترتيب والفقرات التي تناولها الباحث؛ إذ لم تجتمع الموضوعات التي تناولها الباحث في أيّ دراسة أخرى، أو على الأقل فيما اطلع عليه الباحث من دراسات ومؤلفات بهذا الخصوص.

ولعل من أهم الدراسات حول هذا الموضوع هي دراسة الدكتور خالد رشيد الجميلي التي تحمل اسم "أحكام الأحلاف والمعاهدات في الشريعة والقانون" التي تعرضت لموضوع المعاهدات والأحلاف بصورة مستفيضة من حيث تعريفها، وشروطها، وأحكامها، وكيفية إبرامها، ونقضها، وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بها، وقد عرض أقوال مختلف المذاهب الإسلامية مقارناً كل ذلك بالقانون.

ومن الدراسات الشرعية لموضوع التحالفات كتاب "أحكام المعاهدات في الفقه الإسلامي" للدكتور إسماعيل كاظم العيساوي الذي بيّن مشروعية المعاهدات، وعرض الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، كما بيّن شروط صحتها، وتعرّض للشروط الموضوعية والشكلية، وهي أيضاً دراسة مقارنة بالقانون الدولي.

ومن الدراسات المهمة والمحاولات الجادة المتعلقة بهذا الموضوع كتاب "التحالف السياسي في الإسلام"، لمؤلفه منير محمد الغضبان الذي يتناول بعض

النماذج من التحالفات في العصر الإسلامي الأول، ثم يحاول إسقاطها على الواقع المعاصر، موضحاً الدروس المستفادة منها.

ومن ناحية النماذج العملية للتحالفات والمعاهدات في الإسلام يأتي كتاب "الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة"، لمؤلفه محمد حميد الله في مقدمة الكتب والمؤلفات في هذا المجال؛ إذ يعد هذا الكتاب مرجعاً مهمّاً للباحثين جميعهم في هذا الموضوع؛ إذ جمع المؤلف نصوص جميع المعاهدات والتحالفات التي عقدت في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين.

أما من جانب القانون الدولي؛ فهناك دراسة "سياسات التحالف الدولي" التي هي دراسة في أصول نظرية التحالف الدولي، ودور الأحلاف في توازن القوى واستقرار الأنساق الدولية، وهي دراسة للدكتور ممدوح محمد مصطفى منصور، وهذه تعدّ من الدراسات المهمة التي تناولت موضوع التحالفات من وجهة نظر القانون الدولي، وقد تناول المؤلف تعريفات التحالفات، وتقسيماتها وأنواعها، والدوافع التي تدفع إلى عقدها، وموضوعات أخرى كثيرة متعلقة بذلك.

منهج البحث :

يتناول الباحث هذا الموضوع في ثلاثة فصول، ولعل اختلاف الموضوعات في الفصول يتطلب اختلاف منهج البحث في كل منها بحسب الموضوع المتداول، ولكن البحث في مجمله يتركز على المنهج التحليلي الذي يقوم على أساس تحليل الوقائع والأدلة ومناقشتها؛ إذ إن هذا البحث يقوم بإيراد الوقائع والأدلة، وعرضها، وتحليلها ومناقشتها، كما اعتمد الباحث المنهج المقارن الذي يقوم بجمع الآراء المختلفة في الموضوع الواحد، والمقارنة بينها، وبيان الراجح منها، فقد عرض الباحث في مختلف مباحث هذه الدراسة الآراء المختلفة، وقارن بينها، كما قارن بين موقف الشريعة الإسلامية والقانون الدولي إزاء عدد من القضايا، ولا

سيّما فيما يتعلق بشروط التحالفات.

تقسيم الدراسة:

تتألف هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، يتعرض الباحث في الفصل الأول -الذي هو الإطار النظري للدراسة- لمفهوم الحلف، وذلك بتتبع المعنى اللغوي والاصطلاحي للحلف، ويستقرئ تلك التعريفات، ليستخلص تعريفاً جامعاً ومانعاً، كما يستقرئ النصوص الشرعية من الكتاب والسنة التي تحوي هذا اللفظ، كما يتناول الفصل الأول الدوافع التي تدفع بالأحزاب والدول والتكتلات إلى عقد التحالفات وإبرامها، ثم بعد ذلك يتناول الباحث أنواع التحالفات وتقسيماتها.

وإذا كانت التحالفات تهدف إلى الجمع بين الأطراف المختلفة، فهي لا تكون إلا في بيئة متعددة؛ أي: لا بد من وجود تعددية سياسية حزبية قبل الحديث عن تحالفات سياسية بين الأحزاب، وكذلك على صعيد الدول.

وعليه؛ فإن الفصل الثاني مخصص للحديث عن التعددية السياسية التي تعد المدخل الأساسي للحديث عن التحالفات السياسية؛ إذ كيف يمكن الحديث عن التحالفات السياسية بين مختلف الجماعات قبل بيان مدى شرعية التعددية السياسية، وضوابط هذه التعددية.

وانطلاقاً من ذلك فقد جاء الفصل الثاني، ليتناول التعددية السياسية من المنظور الإسلامي، ولكنه يتعرض في البداية إلى بيان مفهوم الحزب، وتعريفه لغة واصطلاحاً، وتتبع مفهومه في القرآن والسنة، ثم يبيّن وظائف الأحزاب السياسية، وكذلك أنواع النظم الحزبية، متناولاً نظام الحزب الواحد، ونظام الحزبين، ونظام تعدد الأحزاب كذلك، ثم يتتبع هذا الفصل أيضاً نشأة التعددية الحزبية في الغرب؛ كون الصورة القائمة للتعددية السياسية في العالم برزت ونشأت وتبلورت في الغرب، ويتناول الباحث تحديداً نموذج بريطانيا؛ لأن التجربة

الحزبية فيها تعد من أقدم التجارب.

ثم بعد ذلك يتعرض الباحث لتقييم التعددية السياسية الغربية، وبيان جوانب السلب والإيجاب فيها، وبعدها يتناول هذا الموضوع من المنظور الإسلامي من خلال بيان وعرض آراء وتوجهات ومواقف المفكرين الإسلاميين حول القضية، ويجمع الباحث أدلة كل فريق، ثم يحللها ويناقشها ويقارن بينها، ثم يقوم بعد ذلك ببيان الراجح منها.

أما الفصل الثالث؛ فيأتي بعد ذلك ليتناول الجانب العملي للتحالفات والمعاهدات، وذلك من خلال جمع عدد من النماذج العملية للتحالفات السياسية في السيرة النبوية وكذلك في عصر الخلفاء الراشدين، ويتعرض الباحث لمعاهدات وأحلاف الرسول ﷺ والخلفاء من بعده، وقد تناول الباحث نماذج مختلفة، ليبين سعة الإسلام في هذا الموضوع، فمن هذه النماذج ما كانت تحالفات مع أشخاص، ومنها ما كانت مع القبائل، ومنها ما كانت مع اليهود، وغيرها مع المشركين، وغير ذلك من الحالات والنماذج المختلفة.

أما الفصل الرابع والأخير؛ فهو مخصص للحديث عن شروط صحة التحالفات في العصر الحديث على ضوء النصوص الشرعية، وعلى ضوء النماذج العملية في العصر الإسلامي الأول، وذلك من خلال بيان ومناقشة الشروط الموضوعية والشكلية التي حددها فقهاء الشريعة والقانون لصحة التحالفات.

هذا ويأمل الباحث أن تساهم هذه الدراسة في سد جزء من الفراغ في هذا الموضع، ويرجو أن يكون قد وفّق لتقديم ما يفيد طلاب العلم في هذا الميدان، وأن تكون هذه الدراسة قد ساهمت في رسم بعض معالم النظام السياسي الإسلامي، وأن يساعد هذا البحث الأحزاب والحركات الإسلامية في تبني مواقفها تجاه هذا الموضوع الذي يعد تحدياً كبيراً يواجهها.